د نجـــــــوى فيـــــــــــران

المحاضرة الرابعة: نوعيات لسانية (الصراع اللغوي)

تمهيد:

إنّ اللّغة ساحة صراع، إنّها ساحة صراع حتى عند الفرد الواحد في اللغة الواحدة بين لغة منتشر ة(لغة الجماعة الواسعة التي ينتهي الفرد إليها)، ولغة منحصرة (لغة المجموعة الصغيرة أو لغة القطيع)، وهي ساحة صراع بين لغة الأب ولغة الأم في الأسر المختلطة، وساحة صراع بين لغة المستعمِر ولغة المستعمَر.

اللغة ساحة صراع لأنها انتماء اجتماعي، فبعدما كان قديما اللباس أداة للتمييز بين الانتماءات الطبقية، تراجع ذلك، وصارت اللغة وسيلة لهذا التمييز.

وإن كان ثمة حرب بين اللغات فلأنّ العالم متعدد، ولأنّ التعدد اللغوي هو الأصل، فلو طغت الأحادية اللغوية لما سمعنا بمصطلح الصراع اللغوي. لذا حاول العلماء إيجاد حل مسالم تمثل أساسا في اختراع لغة مصطنعة عالمية كلغة الإسبرنتو أو غيرها من اللغات المصطنعة، لكن ذلك الحل وهم لأنّه يخالف حقيقة جوهرية في اللغة وهي حقيقة التعدّد.

1ـ مفهوم الصراع اللغوي: "حالة متطرّفة من المنافسة بين لغتين أو أكثر، للتّنازع على البقاء وسعي كلّ منها لتحقيق السيطرة والغلبة على اللغات الأخرى، بل وانقراضها وتعرضها للاندثار، نتيجة لإحلال اللغة المنتصرة محلها".

يرد الصراع اللغوي أينما وجد اتصال واحتكاك لغوي، لاسيما في المجتمعات المتعددة لغويا، فينشأ عن تصادم واختلاف المعايير والقيم، ويؤثر في التنشئة والتربية ووعي الجماعة.

وقد يتجسد الصراع اللغوي في شقين:

أ-داخلي: ويتعلق بالنظام الداخلي للغة، وبنيتها وتطورها.

ب-خارجي: ويتمثّل في علاقتها مع غيرها من اللغات التي وجدت معها في وضعية اجتماعية وجغرافية واحدة.

أما لويس جون كالفي، فقسّمه قسمين:

أ-حرب في الميدان (Guerre du langues invivo): وتتعلّق بمستعمل اللغة أثناء استخدامها واقعيا في التواصلات اليومية، إذ تتجلّى صراعاتهم في أول مظهر وهو اللغة.

ب-حرب في بيئة مصطنعة : (guerre du langues invitro): أساسها سياسي بحث، ويمسك بخيوطها لجان المصطلحات، والقائمون على رسم السياسات اللغوية للحكومة، وهي هنا حرب مفتعلة.

2ـ **نتائج الصراع اللغوي:** ويمكن أن ينتهي الصراع اللغوي إلى أحد أمرين:

أ-تغلّب إحدى اللغتين: وتحدث- غالبا- حين يتغلّب أحد الشعبين على الآخر من ناحية الكثافة السكانية ،فتسمى لغة الجماعة الصغيرة لغة القطيع أو اللغة الحاصرة، التي يقصر استخدامها على عدد محدود من البشر، ممّا يدفع القطب الثاني (الناشر) ، الذي يوسّع من دائرة التواصل إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد، إلى فرض لغته، أو في أحيان أخرى محاولة التقارب مع اللغة الحاصرة مما يؤدي إلى ظهور اللغات المزيج(pidgin).

وفي مواضع أخرى لا تتجسد الوظيفة الناشرة في شكل لغوي جديد (اللغة الخليط)، بل في ترقية إحدى اللغات الموجودة لتصبح لغة ناشرة وفي هذه الحالة تتغلّب لغة القطيع (الأقلية) على لغة الأغلبية.

- قد يؤدي الصراع في حالات أخرى إلى انتصار لغة على أخرى، مما ينتج عنه انقراض أو تعرّض اللغة المهزومة للاندثار لاحتلال اللغة المنتصرة مكان اللغة المنهزمة. كما حدث مع اللغة الألمانية التي طغت على ساحات واسعة من سويسرا، وتشيكوسلوفاكيا والنمسا... وقضت على لهجاتها المحلية. وشرط هذا التغلب وإزاحة اللغة المغلوبة قوة الشعب المنتصر حضارة وثقافة وسلاحا.

ولا يتمّ النصر غالبا لإحدى اللغتين إلاّ بعد أمد طويل قد يصل إلى بضعة قرون، ثم إنّ المنتصر لا يخرج من معركته على حاله، فاللّغة لا تبقى سالمة من هذا الصراع، بل إنّ طول احتكاكها باللغة الأخرى وتصارعها معها، يجعلها تتأثّر وتؤثّر .

أمّا اللّغة الغالبة فيمسّ ألفاظها التحريف في أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى، أما الكلمات الدخيلة المقترَضة من اللغة المغلوبة، فلها هي الأخرى نصيب من هذا التحريف ،لاسيما المستوى الصوتي منه نتيجة لنطقها بلكنة اللغة الغالبة بالنظر إلى شكلها الأصلي.

بينما إذا تمّ القضاء على اللغة المغلوبة (لغة الحصر- كما أشرنا سابقا- فإن الانحلال "ينفذ أوّلا إلى مفرداتها ثم أصواتها، ومخارج حروفها، وأساليبها في نطق الكلمات، ويتم الإجهاز عليها بالقضاء على قواعدها".

ب-حالة التعادل بين اللغتين:إذا استوت اللّغتان في القوة، فلا ترجح كفة إحداهما على الأخرى، ستنحصر دائرة الصراع في الميدان الاقتصادي ،أين يمتدّ إلى ميدان المعاملة الحياتية، فتتعايش اللّغتان جنبا إلى جنب، فيستخدم المتكلم أيّا منهما دون أن يتحقّق الانتصار لأحدهما على الأخرى، ونمثّل لها بالعاصمة البلجيكية بروكسل، حيث للألمانية والفرنسية- كلّ واحدة على حدى- بنيتها اللغوية التي تمنع مبدئيا أن تصبح إحدى اللغتين ذات حظوة على حساب اللغة الأخرى.

غير أن عدم تغلّب إحدى اللغتين لا يحول دون تأثّر كل منهما بالأخرى فالإنجليزية مثلا في بريطانيا، والفرنسية بفرنسا تتقارضان المفردات بحكم احتكاكهما بالتجاور، أما تجاور التركية والفارسية ترك في التركية آثارا واضحة وبخاصة على مستوى المفردات والعكس صحيح.

3ـ أساسيات في تحديد الصراع اللغوي: أشرنا إلى أنّ الصراع اللغوي مرتبط بحالات الاتصال اللغوي سيما المجموعات المتعددة لغوية، لذلك فهو يتحدد من خلال هذه المعطيات:

1 – لا وجود لاتّصال بين اللّغات ،وإنّما هذا الاتصال يتموضع أساسا بين الأفراد (المتكلمين) أو المجموعات اللغوية.

2 – لا وجود لاتّصال لغوي دون صراع لغوي، فكلّ وضعية احتكاك لا يمكن إلاّ أن توصف كصراع لغوي.

3 – اللغة مظهر ثانوي دال على الأسباب الأساسية للصراع: الأسباب الاجتماعية، الاقتصادية، الدينية، السياسية وحتى التاريخية، ويوصف الصراع اللّغوي بأنه أقلّ تأثيرا قياسا بالصّراعات الأخرى.

4 – توصف الصّراعات اللّغوية بالسلبية لأنها تبرهن على أن البنيات الجديدة هي أكثر إيجابية من الأولى، خصوصا بالنّسبة إلى متكلّمي الأقلية.

4ـ نمطية الصراع اللغوي: يمكن النظر إلى مختلف الصراعات والحروب اللغوية المنتشرة في العالم من وجهتي نظر حددهما كالفي كالآتي:

أ– صراع طبيعي: وسماه بالحرب في الميدان: والذي يتحدد في رد الأوضاع التي كانت موجودة تقليديا في الأغلبيات الأصلية والأقليات، فالأدبيات المكثّفة للصراع اللغوي تزخر بأمثلة من هذا النوع، وعلى الخصوص تلك المتعلقة بالأقليات المحرّضة ضد اللغات الوطنية الرسمية أو الجهوية، فالصراع يتأثر دائما في حالات اتصال اللغة ، لأنّ الأقلّية اللغوية لم تكن في وضع تتماثل فيه.

إنّ الصّراع اللغوي الطبيعي يمكن أن يصبح إشكالية مستعصية عندما يستنجد طرفا الصراع بالإديولوجيا لتقوية هذه الاختلافات الموجودة مسبقا، أين يصبح التعايش السلمي بين هاتين المجموعتين مهدّدا، عندها ترفع راية اللغة كرمز محدّد للشعوب. كحال الأمازيغية والعربية بالجزائر.

ب– صراع اصطناعي: (بيئة مصطنعة): وهي حرب مفتعلة، يلقي المجال السياسي والاقتصادي –خاصة – بظلّه في هذا النوع من الصراع، دون أن ننسى الصراع التاريخي المستديم بين الأقليات اللغوية.

إنّ الأنظمة الاقتصادية الجديدة المدعومة سياسيا قد سعت إلى توسّع اقتصادي كبير يصاحبه أيضا توسع لغوي، وهذا ما ينطبق على كل من الانجليزية في دول المشرق العربي، واللغة الفرنسية التي حاولت السيطرة على لسان المغاربة بهدف القضاء على اللغة الفصحى، ولهجاتها المختلفة.

خاتمة: ينشأ الصراع اللغوي الاصطناعي "من حالات التسوية حيث تكون مجموعة لغوية أو أكثر من غير حظوة"، أي وجود لغة ناشرة غالبة ولغة حاصرة مغلوبة.

قائمة المراجع:

[1] – السيد عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، مصر، د ط،1995، ص 104 .

[2] –جون لويس كالفي : حرب اللغات و السياسات اللغوية، ترحسن حمزة،مركز دراسات الوحدة العربية،ط1 ،2008 .

[3] – صبري إبراهيم السيد: علم اللغة الاجتماعي للمجتمع- مفهومه وقضاياه- ، دار المعرفة الجامعية، مصر،1995.

[4] – مجموعة من المؤلفين : دليل السّوسيو لسانيات، منشورات المنظمة العربية للترجمة، ط1 ،2009.